من وثائق "إلى الأمام"
المرحلة الثانية: 1980 ـ 1994
الخط التحريفي
الطور الأول: 1980 ـ 1985

التخبط السياسي نتيجة حتمية لمنهج الصراع بدون هوادة

(جواب على نص الرفيق مبروك المعنون : نقاش نصوص القيادة المعدة للندوة)[1]

تقديم :

يخوض الرفيق منذ عدة شهور صراعا بدون هوادة ضد القيادة وضد عدد آخر من الرفاق، وقد كرس لهذا الصراع طاقاته الأساسية. ولم يتردد الرفيق في استعمال جملة من الأساليب الغير الرفاقية في الصراع مثل التشويه وقلب الحقائق، وذلك للطعن في شرعية القيادة وتبيان "بيروقراطيتها". أما على الصعيد السياسي

ملحوظة :
هناك أقواس داخل النص الأصلي فارغة وتم نقلها كما هي. الهوامش : من وضع موقع 30غشت.

1 .صدرت هذه المقالة بهذا العنوان في النشرة الداخلية "الشيوعي"، السلسلة الجديدة، العدد رقم 5 مكرر، وتحمل تاريخ نهاية ماي 1982، وموقعة باسم رفيق قيادي . وهي تدخل ضمن النقاشات التهييئية لندوة الداخل المنعقدة بتاريخ 28 — 29 - 30/ 01/ 1983 .
المقالة عبارة عن رد صاحب وثيقة "القضايا الاستراتيجية في الثورة المغربية" على وثيقة أخرى بعنوان "نقاش نصوص القيادة المعدة للندوة" وهي موقعة باسم مبروك (عبد الرحمان النوضة) .

إن الطرفين معا هما من العناصر القيادية لما أطلق عليه ب "إعادة البناء"، والنقاش بينهما يعكس إلى حد كبير طبيعة التصورات "الاستراتيجية" لأصحاب "إعادة البناء"، وما يهمنا هنا هو أننا ننشر الوثيقة للمزيد من تسليط الضوء على حقيقة التصورات التي تبنتها وثيقة "القضايا الاستراتيجية في الثورة المغربية"، من خلال إبراز الجوانب التي اعتمدها صاحبها في بناء ما أسماه ب "القضايا الاستراتيجية ..."، والتي أسس من خلالها ما يمكن تسميته ب"نظرية الغموض الاستراتيجي"، أو كيف أصبحت اللااستراتيجية استراتيجية، وذلك من خلال دفاعه عن مشروعه ضد الانتقادات الموجهة إليه، ولكل هذا أهمية كبرى لكون وثيقة "القضايا الاستراتيجية ..." قد تم تبنيها من طرف من عقدوا ندوة الداخل في نهاية يناير 1983 ، وسننشر لاحقا خلاصات تلك الندوة حول "الاستراتيجية".

فقد اكتفى الرفيق بالتلميح إلى "تحريفية" و"يمينية" الخط الذي تتبناه القيادة، وذلك من دون أن يشرح الرفيق مبروك أين تكمن هذه "التحريفية" وهذه اليمينية.

عندما طرحت القيادة التحليل السياسي الأخير ("حول الوضع في المغرب خلال عام 1981")[2] للنقاش، اكتفى الرفيق بتسجيل عدم اتفاقه على هذا التحليل، بدون أن يقدم نقدا واحدا لهذا التحليل، مع العلم أن هذا التحليل كان فرصة ذهبية لتبيان "يمينية" و"تحريفية" القيادة، وعوض القيام بالنقد الرفاقي الصارم للخط السياسي الذي تدافع عنه القيادة والمسطر في العديد من النصوص والأرضيات، ظل الرفيق مبروك يردد بدون ملل نفس أطروحاته الهادفة إلى الطعن في شرعية القيادة.

عندما شرع الداخل[3] في تهييء الندوة الداخلية بادر...[4] إلى مطالبة القيادة بأن تساهم في التهييء السياسي للندوة بصياغة بعض الأرضيات المتعلقة بالاستراتيجية والتكتيك، بالدعاية والتنظيم، بالمركزية الديموقراطية، في حين يتكلف الداخل من جهة بإعداد الأرضيات الأخرى المتعلقة بتهييء الندوة (العمل في الطبقة العاملة، وسط المثقفين، تقييم تجربة الداخل ...)، وقد قبلت القيادة أن تقوم بهذا الواجب على شرط أن تشكل أرضيات القيادة والأرضيات الأخرى مجرد أرضيات للنقاش في الداخل، وعلى شرط أن يتكلف الداخل بصياغة مشاريع توصيات ترتكز على الأرضيات والنقاشات الدائرة في الداخل لتقديمها للندوة.

وكانت القيادة في مستوى التزامها مع اللجنة، إذ قامت بصياغة أربع أرضيات كمساهمة في تهييء الندوة:

1) القضايا الاستراتيجية في الثورة المغربية.

2) حول دعاية المنظمة.

3)القضايا التنظيمية الملحة.

4) القضايا التكتيكية في خط المنظمة.

2. وثيقة سياسية تقدمت بها قيادة ما سمي ب "إعادة البناء" تضمنت مميزات الوضع السياسي بالمغرب سنة 1981.
3. المقصود بالداخل فرع المنظمة الذي تم تجميعه ابتداءا من نهاية السبعينات، وعرف هيكلته في بداية الثمانينات.
4. في النص الأصلي هناك فراغ، ونعتقد أن الأمر يتعلق باسم "مبروك".

وعند الانتهاء من صياغة كل أرضية على حدى، كانت القيادة تقدمها لكافة الرفاق من ضمنهم طبعا الرفيق مبروك، هكذا توفرت فرصة جديدة للرفيق مبروك من أجل النقد الرفاقي الصارم للخط السياسي الذي تتبناه القيادة وتبيان "تحريفية" و"يمينية" وكذا أسس "بيروقراطيتها".

كيف تعامل الرفيق مبروك مع هذه الأرضيات ؟ هذا ما يوضحه نصه المعنون "نقاش أرضيات القيادة المعدة للندوة"، والذي خصصه الرفيق مبروك لانتقاد الأرضيات الثلاث الأولى للقيادة، بالإضافة إلى نص أحد الرفاق هنا حول العمل في الأحياء الشعبية، فهل تمكن الرفيق مبروك من الكشف عن "بيروقراطية" و"يمينية" و "تحريفية" القيادة؟ هذا ما يمكن لأي رفيق أن يتأكد منه بنفسه، ومن جهتي أعتبر أن النهج العدائي في الصراع كمنطلق للرفيق مبروك في نقده للقيادة ، قد أدى به إلى الدوران في حلقة مفرغة، إلى السقوط في الجزئيات، وإلى العجز عن تقديم أي نقد جدي لوجهات النظر السياسية، وأخيرا رفض أرضيات القيادة بدون اي مرتكز معلن عنه بدون تقديم أي بديل.

2) **ممارسة بيروقراطية خطيرة جديدة للقيادة !**

إن إحدى الانتقادات الأساسية التي يوجهها مبروك لأرضية "القضايا الاستراتيجية في الثورة المغربية" تتعلق بإقدام القيادة على طرح هذه الأرضية للنقاش داخل المنظمة، وحسب الرفيق مبروك "ليس من حق القيادة أن تطرح وأن تعمم داخل المنظمة رأيا مثل أرضيتها المعنونة : "القضايا الاستراتيجية في الثورة المغربية" والتي تدعو فيه إلى التخلي عن استراتيجية المنظمة ... وإلى استبدالها باستراتيجية أخرى مخالفة ...لأن واجب القيادة في أي تنظيم وفي أي حزب مهما كان هو السهر على تطبيق الاختيارات التي حددها المؤتمر الوطني السابق.

إن الرفيق مبروك يولي أهمية كبرى لهذا النقد وهذا ما يمكن أن يفسر تلك المسالة الغريبة، والمتعلقة بإدخال هذا النص (نقاش أرضية القيادة المتعلقة بالندوة)[5] ضمن سلسلة "ضد اختصار المركزية الديموقراطية"[6]. لهذا وجب علينا مناقشة هذا النقد :

5. المعني هنا وثيقة مبروك (ع .ن) "نقاش أرضية القيادة المتعلقة بالندوة".

6 . "ضد اختصار المركزية الديموقراطية" عبارة عن سلسلة تضم مجموعة من الحلقات من توقيع مبروك، وأصدرتها نشرة "الشيوعي". والغريب أن مبروك الذي اشتهر بعدائه المطلق للرفاق الذين دافعوا عن الخط الثوري وهاجمهم بعنف في وثيقة شهيرة تحت عنوان "تعبؤوا" خاض من خلالها حربا بلا هوادة ضد الاتجاه الثوري داخل المنظمة، وصلت حد استنكار بعض رفاقه في "إعادة البناء" لأساليب هذا الأخير. ومن الغريب أن مبروك في مواجهته لأصدقائه في "إعادة البناء" قد استعمل بشكل انتقائي بعض أطروحات الخط الثوري لمواجهة أصدقائه في معركته المستمرة من أجل الاستيلاء على قيادة المنظمة، وتبوء موقع الزعامة

سبق لي في التقديم أن أوضحت أن مبادرة القيادة لطرح أرضية حول القضايا الاستراتيجية جاء كاستجابة لطلب لجنة ...[7] لمساهمة القيادة في التهييء السياسي للندوة، وبالتالي فإن القيادة قامت بواجبها عندما أقدمت على طرح هذه الأرضية للنقاش، ولا شك أن الرفيق مبروك الذي ينتظر أدنى خطأ فعلي أو وهمي ترتكبه القيادة لتوظيفه في إطار الصراع العدائي، كان أول من سينتقد القيادة لعدم استجابتها لطلب اللجنة لو أن القيادة رفضت طلب اللجنة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن واجب أي قيادة فعلية ليس هو فقط " السهر على تطبيق الاختيارات التي حددها المؤتمر الوطني السابق" ولكن كذلك طرح التحاليل الملائمة للأوضاع الجديدة ، وإن اقتضى الحال طرح رؤى تكتيكية واستراتيجية جديدة للنقاش الجماعي، إن هذا الواجب يصبح أكثر إلحاحا بالنسبة لمنظمة مثل منظمتنا أصبح خطها السياسي مهزوزا بعد الاعتقالات الكبرى، وبعد الأزمة التي انفجرت داخل مجموع الحملم ، ومن هذا المنطق بادرت القيادة منذ 1979 إلى القيام بهذه التحاليل السياسية وطرحت عدة أرضيات هامة للنقاش ("وضعية المنظمة والمتطلبات العاجلة لإعادة البناء"، "المهام العاجلة للمنظمة" ...)[8] وردت فيها مواقف تصحيحية لخط المنظمة ، لا تتفق بالضرورة مع مواقف المنظمة قبل الاعتقالات. فلماذا انتظر الرفيق مبروك كل هذه السنوات قبل طرح هذا الاكتشاف الديموقراطي العظيم ! ولماذا فجأة يصدر الرفيق هذه الفتوى الجديدة بحرمان القيادة من حقها و واجبها في المبادرة إلى طرح أرضيات سياسية للنقاش داخل المنظمة مهما كانت أهميتها.

إضافة إلى ذلك لماذا يصر الرفيق مبروك على تجاهل أن استراتيجية حرب التحرير الشعبية لم تحدد من طرف الندوة الوطنية، وإنما حددت من طرف اللجنة الوطنية بضعة أشهر بعد انتهاء الندوة الوطنية[9]. إن

داخلها بكل الوسائل حتى الدنيئة منها.

7 . هناك فراغ في النص الأصلي للوثيقة، ولعل المقصود هنا ب "لجنة" لجنة الفرع بالداخل.

8 . الوثيقتان معا من أولى وثائق ما سمي ب "إعادة البناء"، وللمزيد من المعلومات حولها انظر دراسة "مسلسل تصفية المنظمة الماركسية اللينينية ..." التي يصدر موقع "30 غشت" حلقاتها.

9 . إن الطريقة التي حاول بها كاتب المقال – الرد التأكيد على أن تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية، قد تم في يونيو 1972 بقرار من اللجنة الوطنية، وبالتالي لا علاقة للندوة الوطنية المنعقدة في نهاية دجنبر 1971 بداية يناير 1972 بمدينة الرباط ، هي محاولة ولاشك للتقليل من أهمية تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية، ومن تم التقليل من شرعيتها . ولوضع القارئ أمام الحقيقة التاريخية، فإن الندوة الوطنية الأولى قد تناولت في جدول أعمالها مسألة الاسترلتيجية الثورية، واستمعت إلى آراء مختلفة في ذلك، من بينها "استراتيجية القواعد الحمراء المتحركة"، التي كانت تحظى باتفاق أغلبية الرفاق حولها، ورغم أن الندوة الوطنية لم تتبنى استراتيجية محددة للمنظمة، فإنها أوصت بالحسم في ذلك قريبا . وهو ما حصل حينما أصدرت اللجنة الوطنية المنعقدة في دورة لها بمدينة الرباط ، وثيقة "مسودة حول الاستراتيجية الثورية"، وذلك في يونيو 1972. وفي سياق التطور الذي عرفته

الندوة الوطنية قد أكدت على ضرورة الاهتمام أكثر بدور البادية في الثورة، وأوصت اللجنة الوطنية بتحديد استراتيجية المنظمة . وهذا ما تم فعلا من طرف اللجنة الوطنية في منتصف 1972، كما تم تسجيل ذلك في النص حول "القضايا الاستراتيجية"[10].

خلاصة القول أن نقد الرفيق غير جدي، كما أنه في تحامله المتواصل ضد القيادة يضرب بالحقائق عرض الحائط، وأخيرا فإن الرفيق، من أجل إعطاء أسس نظرية لهذا التحامل، قد بدأ وبدون شعور يسقط في نزعة ليبرالية لا علاقة لها بالمركزية الديموقراطية كما يفهمها الشيوعيون.

3) نقد مبروك لمضمون أرضية "القضايا الاستراتيجية".

إذا كان انتقاد مبروك للشكل الذي طرحت به الأرضية حول القضايا الاستراتيجية يفتقد للجدية، فإن نقده لمضمون هذه الأرضية هو في مستوى نقده للشكل، ويتميز بالعجز عن نقد مضمونها بشكل جدي، بغياب أدنى بديل ولو جنيني لما ينتقده وبالتخبط في التناقضات.

- يقول الرفيق مبروك : "إن هذه الأرضية استطاعت القيام بمعجزة، حيث استطاعت في مجموع 17 صفحة تلافي تناول أية قضية من القضايا الاستراتيجية الحقيقية. والقضايا الوحيدة التي طولت فيها هي القضايا المعروفة المأخوذة أحيانا بشكل حرفي من تجارب الثورات الصينية والفيتنامية" (التسطير من عندي).

هذا هو النقد الأول الذي يطرحه الرفيق بأسلوب البولميك المبتذل. حسب الرفيق مبروك أن الأرضية إذن قد "تلافت تناول أية قضية من القضايا الاستراتيجية الحقيقية". بعبارة أخرى وبأسلوب الأساتذة المتعالين، يقول الرفيق مبروك أن القيادة خرجت عن الموضوع، لكن أي أستاذ مهما بلغ تعاليه يقوم بواجبه وينبهك

المنظمة بعد صدور وثيقة "عشرة أشهر من كفاح التنظيم، نقد ونقد ذاتي" المعروفة اختصارا ب"تقرير 20 نونبر 1972"، أصدرت المنظمة مجموعة من الوثائق يظهر أن صاحب المقالة إما أنه كان يجهلها أو عمد على تجاهلها خدمة لموقفه، ومن بين هذه الوثائق "الوضع الراهن والمهام العاجلة للحركة الماركسية- اللينينية" (النص الداخلي ،وهو نص خاص بأطر المنظمة) ثم وثيقة "من أجل خط ماركسي – لينيني لحزب البروليتاريا ..." والوثيقتان المنشورتان على موقع "30 غشت" تتبنيان استراتيجية حرب التحرير الشعبية، المعروفة ب "استراتيجية القواعد الحمراء المتحركة"، وقد قامت وثيقة "الوضع الراهن ..." بتعميق أطروحات وثيقة "مسودة حول الاستراتيجية الثورية" بتأكيدها على ضرورة بناء خط عسكري ماركسي – لينيني للمنظمة ودعم ذلك ببناء مدرسة عسكرية للمنظمة . وخلال سنة 1974 أصدرت قيادة المنظمة مشروع وثيقة للنظام الداخلي للمنظمة، ناقشته كل خلايا المنظمة وتوج ذلك النقاش بانعقاد ندوتين لأطر المنظمة بالدار البيضاء، حيث تمت المصادقة على وثيقة النظام الداخلي بالإجماع لتعلن الكتابة الوطنية حسمها النهائي لوثيقة النظام الداخلي في اكتوبر 1974 . وفي الديباجة التي وضعت لنص تلك الوثيقة كان هناك تأكيد على تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية.

10. أخطأ كاتب المقال في عنوان الوثيقة وعنوانها الصحيح هو "مسودة حول الاستراتيجية الثورية".

إلى الموضوع الحقيقي فيقول لك : ها هي "القضايا الاستراتيجية الحقيقية" التي كان يجب أن تتناولها ، لكن مبروك لم يقم بذلك، وتركنا على جهل تام بفهمه ل "القضايا الاستراتيجية الحقيقية" ناهيك عن إعطائنا موقفه منها.

طيب، إذا كنت أيها الرفيق مبروك تعتبر أن قضايا مثل "التناقضات الطبقية، وطبيعة الثورة، ومضمون الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية، وعلاقاتها بالثورة اشتراكية ، والقيادة الطبقية للثورة، وبناء الحزب الشيوعي، والجبهة الوطنية الديموقراطية الشعبية، وأسلوب حسم السلطة، لا تدخل في "القضايا الاستراتيجية الحقيقية"، فما هو فهمك للقضايا الاستراتيجية ؟ إنني في انتظار الجواب الذي لا أثر له داخل أرضيتك.

- حسب الرفيق مبروك أن "القضايا الوحيدة التي طولت فيها الأرضية، هي القضايا المعروفة، المأخوذة أحيانا بشكل حرفي من تجارب الثورات الصينية والفيتنامية".

إن الرفاق الذين سيطلعون على الأرضية هم الذين يمكنهم أن يحددوا هل القضايا التي تطرحها "معروفة" أم لا. لكن المهم ليس هو هل الأرضية تطرح قضايا "معروفة" أو مجهولة، المهم هو أن تجيب على السؤال التالي : هل تعتبر ما طرح في الأرضية صحيحا أم لا. إن الرفيق مبروك يحاول تفادي الجواب بنهج أسلوب التعويم. إنه لا يقدر أن يقول أن ما طرحه خاطئ لأنه في هذه الحالة سيرغم على توضيح أين يكمن الخطأ، كما أنه لا يقدر أن يقول بأن القيادة يمكن أن يكون لها موقفا صحيحا، لأن الإقرار بهذه المسألة يتنافى مع منظوره للصراع.

إن الرفيق مبروك يطرح بأن "القضايا المطروحة في الأرضية مأخوذة أحيانا بشكل حرفي من تجارب الثورات الفيتنامية والصينية" كان أحرى بالرفيق مبروك إذا كان يحترم قارئه بان يأتيه ولو بحجة واحدة على ما يدعيه هنا.

- <u>أسلوب حسم السلطة :</u>

يقول مبروك : "إن هذه الأرضية دعتنا إلى التخلي عن استراتيجية حرب التحرير الشعبية، واستبدالها بصيغة العنف الثوري المنظم أي استبدالها <u>بلا شيء</u> " (التسطير من عندي).

هكذا وبكل بساطة، فإن العنف الثوري الجماهيري المنظم، كاستراتيجية لحسم السلطة يساوي "لا شيء" في نظر الرفيق مبروك. فعندما نرفض كمنظمة ثورية الاستراتيجية البرلمانية، كاستراتيجية إصلاحية وهمية للتغيير، فهاذا "لا شيء" أيها الرفيق مبروك.

وعندما نرفض الأساليب النخبوية للعنف كالانقلابات العسكرية، فهاذا :"لا شيء".

وعندما نقول بأنه لا تغيير ولا حل لمشاكل الجماهير بدون ثورة، فهاذا : "لا شيء". وعندما نقول أن الثورة ستكون عنيفة بالضرورة، فهاذا : "لا شيء".

وعندما نقول بأن الجماهير هي صانعة الثورة، وهي صاحبة الدور الأساسي فيها، فهاذا : "لا شيء". وعندما نقول بأن العنف الثوري للجماهير الشعبية يجب أن يكون منظما، فهاذا : "لا شيء".

أليس هذا هو ما تتضمنه صيغة العنف الثوري الجماهير المنظم ؟ وإذا كان كل هذا : "لاشيء"، فلماذا يناهضه كل الرجعيين والإصلاحيين والانقلابيين على حد سواء ![11]

إن القيادة بالفعل لم تعد تتبنى حرب التحرير الشعبية كأسلوب لحسم السلطة، وذلك لاعتبارها بأن هذا الأسلوب سواء بالشكل الذي مورس بالفيتنام أو الصين، أو بالفهم الذي ساد داخل المنظمة ليس ملائما للواقع الموضوعي لبلادنا[12]، ولهذا، في انتظار أن نتمكن كمنظمة من معرفة واقع بلادنا بشكل أكثر عمقا، وعبر تجدرنا وسط الطبقة العاملة والفلاحين، اعتبرت القيادة أن تبني صيغة عامة كالعنف الثوري الجماهيري المنظم، كافية في الوقت الراهن لتمييزنا عن الإصلاحيين والانقلابيين والعفويين، ويسمح لنا في نفس الوقت بالقيام بمهامنا الراهنة، أما تحديد الشكل الدقيق لهذا العنف الثوري الجماهيري المنظم، فهو رهين بمعرفة أدق لواقع بلادنا الراهن وبتجربتها في هذا الميدان، وهذا لن يتم فعلا إلا في المستقبل[13].

إن الرفيق مبروك يتهكم ويسخر من هذا الموقف "المضحك"، ولو كانت له نظرة جدلية لهذه المسألة لما سخر من هذا الموقف. يقول مبروك : "أعتقد أن أي عاقل لن يقبل استبدال مفهوم واضح بمفهوم غامض،

11 .يلجأ الكاتب إلى منطق غريب في محاولة لدعم موقفه حول ما يسميه استراتيجية ثورية (استراتيجية العنف الثوري الجماهيري المنظم)، فهل هناك أصلا استراتيجية حتى يعارضها المعارضون الذين أشار إليهم الكاتب.

12 . إن ادعاء عدم الملائمة لتلك الاستراتيجية لا يعتمد على أي تحليل موضوعي يمكن الركون إليه.

13 .هنا اعتراف صريح من الكاتب من ألا جدوى من استراتيجية ثورية قبل التقدم في المهام الثورية ، كما لو أن هذه المهام ستنجز عفويا، وهنا العودة من طرف الكاتب إلى خط العفوية الذي ساد في بداية المنظمة والمعروف ب "خط الانطلاقة الثورية" الذي تم الحسم معه استراتيجيا في وثيقة "مسودة حول الاستراتيجية الثورية" يونيو 1972، وسياسيا وتنظيميا في وثيقة " 10 أشهر من كفاح التنظيم ..." الصادرة في 20 نونبر 1972.

ولن يتفق على أن المفاهيم الغامضة هي التي تكون ملائمة للواقع". هذه الجملة نموذج من التفكير الميتافيزيقي اللاجدلي.

إن المفهوم الواضح لا يكون إيجابيا ويقدم المعرفة الإنسانية إلا إذا كان مطابقا للواقع. قديما كان للناس مفهوم واضح عن علاقة الفكر بالمادة حيث كانوا يعتقدون أن الله هو الذي خلق الدنيا (المادة)، ومع تطور الإنتاج والعلوم بدأ الشك في هذا المفهوم الواضح وبدأ الغموض. وكان الغموض ثورة ضد الوضوح السابق، حيث أنه شكل خطوة نحو الوضوح الجديد والذي يشكل نقيضا للوضوح القديم[14].

وقديما كذلك كان للبشر نظرة "واضحة" حول علاقة الشمس بالأرض ، فكانوا يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض، تم تراكمت بعض المعطيات لدى البشر وأصبح الغموض يسود لدى أكثرهم تقدما (أما المتخلفين منهم فقد بقي لديهم الوضوح السابق) حتى تحول هذا الغموض إلى وضوح جديد مناقض تماما للوضوح القديم[15].

وبالنسبة لخط المنظمة وإلى حدود الاعتقالات الكبرى في 1976، كان كل أعضاء المنظمة تقريبا يعتبرون خطها بروليتاريا، لكن بعد الاعتقالات وانفجار أزمة الحملم، طرحت القيادة تقييما "غامضا" للخط واعتبرته خطا متناقضا فيه ما هو بروليتاري وما هو بورجوازي، وكان هذا الغموض ثورة ضد "الوضوح"القديم الذي اتضح أنه غير ملائم للواقع، وفتح هذا الطرح الغامض إمكانية التقييم الموضوعي للتجربة وإمكانية التقدم بينما التشبث الميتافيزيقي "بالوضوح" القديم لم يكن من شأنه أن يخدم المنظمة[16].

إن الجدلية تعلمنا أيها الرفيق مبروك بأن معرفة الإنسان للطبيعة والمجتمع معرفة نسبية. فما هو واضح اليوم يصبح غامضا غدا، وهذا الغموض هو مرحلة وضوح جديد، وجوابا على الرفيق مبروك اقول بأن "العاقل" الذي يستعمل المنهج الجدلي هو ذلك "العاقل" الذي يفضل "الغموض" الذي يقربه من معرفة

14 .بتأكيده على جدلية الوضوح والغموض سقط الكاتب في تبسيطية عفوية بدائية لسيرورة تطور الفكر في علاقته بالواقع المادي ،متجاهلا الجدلية الحقيقية التي أسست لها النظرية المادية الجدلية للمعرفة، ومتناسيا ألا وجود لدرجة صفر للنظرية أو المعرفة، وبذلك سقط في النسبوية بعدما تخلى عن جدلية النسبي والمطلق ....

15 .تأكيد للهامش (14).

16 .إن النزعة اللاجدلية عند الكاتب مستمرة هنا، وتكرر نفسها بأمثلة حول خط المنظمة، حيث الانتقال من شيء إلى أخر بدون رابط.

الواقع، على الوضوح المثالي الذي يريح باله ويبعده عن متاعب التفكير الجدي. هذا عن الوضوح والغموض[17].

لكن ما دمت أيها الرفيق مبروك رفيقا "عاقلا" وتفضل الوضوح على الغموض، فما هو موقفك الشخصي من أسلوب حسم السلطة ؟ لقد أشبعت القيادة نقدا حول الشكل الذي طرحت به موقفها وحول المضمون، مضمون العنف الثوري الجماهيري المنظم، وطرحت بأنه لا يحق للقيادة أن تتراجع عن حرب التحرير الشعبية، وعندما نبحث سطرا بسطر عن موقفك من هذه المسألة فإننا لا نعثر عليه، كل ما هناك أنك تتخبط وعندما تتشبث بالتخبط تبدأ في إضافة الهوامش من أجل محاولة الإفلات من التخبط السياسي[18].

هكذا فإن الرفيق مبروك يطرح في الهامش 3 : "سبق لي مرارا ومنذ سنوات (!!) أن استعملت عبارة العنف الثوري الجماهيري المنظم، وذلك بهدف التأكيد على ضرورة العنف، على ضرورة كونه ثوريا ومنظما. لكنني لم أعبر بها أبدا عن أي استراتيجية ، ولا يمكن في رأيي أن يعبر عنها. يقول المثل الشعبي "الذئب حلال والذئب حرام" فالعنف الثوري الجماهيري المنظم حلال على مبروك وحرام على القيادة.

إن الرفيق مبروك هنا يردد ما قالته القيادة، إنه ينتقد القيادة طولا وعرضا، شكلا ومضمونا، يخرج العنف الثوري الجماهيري المنظم من الباب ليدخله خفية من النافذة، ينتقده في صلب نصه ليتبناه في الهامش.

17 .لقد قلنا ألا وجود لدرجة الصفر في النظرية أو المعرفة (انظر كتاب "نظرية التناقض" لآلان باديو)، أما جانب النسبوية فنحيل القارئ على نظرية كارل بوبر القائلة بأن كل نظرية ليس بالإمكان البرهنة على خطئها فليست بنظرية علمية، وبالتالي فإن الماركسية مثلا ليست بنظرية علمية، وقد فتح هذا الطرح الباب أمام مجموعة من الأطروحات الفلسفية صبت في نظرية ما يسمى اليوم ب"ما بعد الحداثة" التي تتنكر لكل الجوانب الإيجابية في الفكر الإنساني وتسقط في العدمية الفكرية والثقافية والعبث . وفي مجال العلوم الطبيعية نحيل هنا على "مبدأ التوافق" الذي بلوره بوهرأحد مؤسسي علم ميكانيك الكم وحائز على جائزة نوبل، ويرى بوهر:"أن تعاقب نظرية العلوم الطبيعية الواحدة بعد الأخرى لا يكشف فقط الفارق بينها بل التواصل أيضا، وهو ما يمكن التعبير عنه بدقة رياضية... وعندما تحل النظرية الجديدة محل النظرية السابقة فإنها لاتنفيها فقط بل تحتفظ بها أيضا بصورة معينة. وهذا يتيح الإنتقال المعاكس من النظرية اللاحقة إلى النظرية السابقة وتوافقهما والتقائهما في مجال اقصى معين يتضائل فيه الفارق بينهما، ويمكن تتبع مفعول التوافق في تاريخ الرياضيات والفيزياء وعلوم أخرى. ان التسلسل الطبيعي للنظريات القديمة والجديدة ينبع من الوحدة الباطنية لمستويات المادة المختلفة من حيث الكيف".
إن قطع كل صلة بين النظرية السابقة واللاحقة ، وبين هذه وماضيها أو مستقبلها هو حكم على المعرفة بالتقطع وهي سلسلة متصلة الحلقات، وكما رأينا فمبدأ التوافق يعبر فلسفيا عن ديالكتيك المعرفة أي الحركة من الحقيقة النسبية إلى الحقيقة المطلقة.

للقارئ أن يتمعن في هكذا أطروحات كاتب المقالة، وليتصور لحظة واحدة تطبيقها في مجال العمل السياسي أو العسكري، فكلاهما يضيع في متاهات الغموض والنسبوية القاتلة .

18 .ليس ضروريا أن يقدم كل منتقد للنص تصورا بديلا ما دام لا يمتلكه بعد، أو أنه يؤجل ذلك إلى أن تتوفر شروط البث فيه، أما القول بذلك فهو ببساطة مصادرة للحق في النقد.

أما هل العنف الثوري الجماهيري المنظم استراتيجية أم لا، فهذا مجرد كلام فارغ ما دام الرفيق مبروك لم يزودنا بمفهومه للاستراتيجية كما رأينا ذلك سابقا.

نفس الشيء يتكرربالنسبة لحرب التحرير الشعبية. ففي صلب النص ينتقد الرفيق مبروك تخلي القيادة عن حرب التحرير الشعبية ، ثم يطرح في هامش صغير يكاد لا يراه أحد وهو الهامش 4 : لا أناقش في هذه الأرضية هل حرب التحرير الشعبية ملائمة أم غير ملائمة .."[19].

بتلخيص شديد يمكن صياغة ما قال الرفيق مبروك كالتالي : إن العنف الثوري الجماهيري المنظم يساوي : "لاشيء" "لكنني أنا مبروك أستعمله منذ سنوات، كما أن القيادة خاطئة في تراجعها عن حرب التحرير الشعبية، لكنني أنا مبروك لا أناقش هل هي ملائمة أم غير ملائمة، لهذا لا تطالبونني بموقفي منها".

وما يزيد الطين بلة هو أن الرفيق مبروك في موقف صاغه في الصيف الماضي 1981 (حول تفكير أولي حول أسلوب حسم السلطة)[20] كان يدافع عن حرب التحرير الشعبية لكن نفس الرفيق مبروك يطرح بضعة أسابيع من بعد وفي أرضية "خطة عمل" ، أربع أو خمس مرات مسالة العنف الثوري الجماهيري المنظم بدون أن يطرح مرة واحدة حرب التحرير الشعبية[21].

أليس هذا هو التخبط السياسي بعينه. ألم يكن أفضل بالنسبة للرفيق مبروك أن يعلن مثله مثل معظم الرفاق بأن لديه غموض، وهذا ما يحتاج إلى شيء من التفكير الجماعي لتجاوزه ولو بشكل جزئي، عوض أن تكون له كل هذه المفاهيم والمواقف "الواضحة" التي تتطاحن فيما بينها من كثرة وضوحها.؟

3) استراتيجية حسم السلطة في نيكاراغوا :

كتبت القيادة في أرضية "حول القضايا الاستراتيجية" : أن أشكال العنف الثوري الجماهيري المنظم متعددة. فهناك مثلا الانتفاضة الجماهيرية المسلحة، كما حصل خلال ثورة أكتوبر 1917 المجيدة، هناك حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد والتي أدت إلى انتصار الثورة الصينية والفيتنامية، هناك الشكل الذي اتخذه العنف الثوري في الثورة الساندينية بنيكارغوا والذي يدمج بين الشكلين السابقين مع الاختلاف

19 .إن المنتقد نفسه (مبروك) كان قد تخلى عن استراتيجية حرب التحرير الشعبية، وما نقده لصديقه في "إعادة البناء" فليس سوى مزايدة في إطار الصراع من أجل الاستيلاء على قيادة المنظمة .

20 .الوثيقة من توقيع مبروك (ع . ن) وقد صدرت في نشرة الشيوعي السلسلة الجديدة.

21 .وثيقة "خطة عمل" لصاحبها مبروك وهي تثبت تهافته وتقلباته المختلفة وتخليه الواضح عن استراتيجية حرب التحرير الشعبية.

عنهما (العبارة المسطرة من طرفي هنا تم حذفها من طرف الرفيق مبروك عندما ساق هذا المقتطف، لماذا !!)[22].

إن الرفيق مبروك عوض أن يهتم بالقضايا الاستراتيجية الجوهرية المطروحة في الأرضية، والمتعلقة بالمغرب ، وإعطاء موقف منها فضل التعويم وفضل الهروب إلى نيكاراغوا ليبين "حنة يديه" حول نيكارغوا، بعد أن عجز أن يقول لنا أدنى شيء جدي بشأن القضايا الاسترلتيجية في المغرب.

---

22 .إن التعميم الذي يقدمه صاحب المقال حول الثورة السندينية وتجربتها تغافل العديد من المعطيات التي تحكمت في تلك التجربة، وسقط في خطئ كان منتشرا إبان كتابة المقالة، ساهمت في تعميمه بعض الكتابات التروتسكية، ولذلك فقوله بأن التجربة السندينية قد دمجت بين استراتيجية حرب التحرير الشعبية والانتفاضة الثورية قول غير سليم من الناحية المنهجية ومن الناحية المعرفية .

لقد تأسست الجبهة السندينية للتحرير الوطني كمنظمة سياسية وعسكرية سنة 1961 على يد كارلوس فونصيكا وتوماس بورخي وآخرين . وتبنت في البداية تصورا اشتراكيا فضفاضا متأثر بشكل كبير بأفكار وشخصية أوغيستو سندينو.

ولذلك ضمت الجبهة السندينية للتحرير الوطني تيارات مختلفة تتبنى إما الاشتراكية أو الوطنية اليسارية أو لاهوت التحريرأو الاشتراكية الديموقراطية أو الماركسية وأفكار سندينو ...

كانت نيكارغوا بلدا فلاحيا بطبقة عاملة ضعيفة وبسلطة مركزية قوية في المدن . ولما كانت سنوات الستينيات من القرن الماضي في أمريكا اللاتينية، تعرف انتشارا واسعا لأفكار الثورة الكوبية، فقد تأسست الجبهة تحت ذلك التأثير، وإلى حدود 1967 خاضت الجبهة حرب عصابات على الطريقة الكوبية المنظر لها بما سمي ب "نظرية الفوكو" لاحقا ، لكن تلك الاستراتيجة السياسية والعسكرية باءت بالفشل لتدخل الجبهة في مراجعة لتجربتها فيما سمي ب "الفترة الصامتة لتراكم القوى" حيث خصصت للفترة للتجهيز المالي والمادي والعسكري .

ومن 1974 إلى 1976 خاضت الجبهة معارك في الجبال وفي البوادي وفي المدن، وتحت تأثير هذه التجربة الأخيرة، حيث تعرضت الجبهة لضربات قوية من طرف نظام سوموزا الفاشي، فانشقت الجبهة إلى ثلاث اتجاهات وهي :

- الجبهة السندينية للتحرير الوطني (الاتجاه البروليتاري) وهو اتجاه كان يعتبر نفسه ماركسيا – لينينيا وكان يشتغل أساسا في الوسط المديني مساهما في تنظيم الإضرابات والنضالات العمالية متبنيا استراتيجية قلب النظام مباشرة انطلاقا من المدن (لا مجال هنا لمناقشة الماركسية – اللينينية عند هذا الاتجاه، فهي عموما لا تخرج عن إطار الخط الإديولوجي الكوبي والأمريكو لاتيني .

- الجبهة السندينية للتحرير الوطني (اتجاه حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد) وكان هذا الاتجاه يشتغل في البوادي وبين الفلاحين .

- الجبهة السندينية للتحرير الوطني (اتجاه دانييل أورتيغا)، اتجاه وطني يساري أكد دائما على التحالف مع اللبراليين، وهو أهم اتجاه داخل الجبهة السندينية للتحرير الوطني، وكان هذا الاتجاه يجمع بين العمل في الجبال والبوادي (حرب عصابات على الطريقة الفيفارية) وبين العمل في المدن ضمن تصور سياسي عسكري يقوم على الإعداد للانتفاضات في المدن .

وحتى إذا افترضنا جدلا أن كل ما قاله الرفيق مبروك عن نيكاراغوا صحيح، فهل هذا يغير شيئا من مضمون النص حول القضايا الاستراتيجية (قضية نيكاراغوا تحتل سطرا ونصف من نص فيه 17 صفحة) ببلادنا. وهل هذا يعلمنا شيئا عن القضايا الاستراتيجية المتعلقة بالمغرب.

على كل حال إنني لن أتبع الرفيق مبروك في هذا التعويم، وأكتفي بتسجيل مقتطف من نفس الاستجواب الذي أعطاه أرتيغا، أحد ابز القادة الساندينيين، والذي أورد منه الرفيق مبروك بعض الجمل المبثورة كعادته، عندما يريد تغليب وجهة نظره بأي ثمن.

وعند منعطف 1978 عرف الوضع الدولي مجموعة من المتغيرات لصالح الجبهة السندينية للتحرير الوطني سواء لدى دول الجوار أو داخل الرأي العام الأمريكي، حيث ساهم ذلك في عزلة نظام سوموزا الفاشي .

وقد ارتكب النظام خطئا مميتا عندما اغتال بيدرو جواكين شامورو أحد القادة اللبراليين ومدير جريدة "الفكر" . وقد تبع هذا الاغتيال مظاهرات كبرى في العاصمة مناغوا . في هذه الأجواء تصاعد العمل العسكري للجبهة السندينية، حيث قام كوموندوس تابع للجبهة باحتجاز داخل القصر الرئاسي لمجموعة من النواب والشيوخ واستطاع أن يفرض على النظام شروطه لإطلاق سراح المعتقلين السنديين بالإضافة إلى الفدية ونشر نداءات للجبهة تدعو إلى الانتفاضة .

وفي شتنبر من نفس السنة انتفضت الجماهير في العديد من المدن، لكن نظرا لميزان القوى تراجعت القوات السندينية متجهة نحو الجبال والبوادي، مما سهل على قوات النظام التنكيل وتصفية الشباب والأطفال الثائرين داخل المدن .

لكن السخط على النظام اتسعت دائرته وظل متقدا وسط المدن نفسها .

وفي ظل هذه الأجواء وتحت تأثيرها تجمعت الظروف والشروط التي ساعدت على وحدة الاتجاهات الثلاث داخل الجبهة السندينية للتحرير الوطني، التي تحققت سنة 1979 ، وفي يوليوز 1979 أعلنت الجبهة السندينية الهجوم النهائي العام على النظام، فافتتحت مجموعة من الجبهات العسكرية في البوادي والجبال وتحركت أجنحتها المختلفة على مستوى المدن لتنظيم الإضراب العام ليبدأ الزحف العام على مدينة مناغوا الذي توج بهروب سوموزا وفلوله وانتصار الثورة السندينية .

بعد كل هذه المعطيات هل يصح الكلام عما أسماه كاتب المقال بدمج لاستراتيجية حرب التحرير الشعبية باستراتيجية الانتفاضة في المدن في تجربة نيكارغوا ؟

إن كل المعطيات أعلاه لا تؤكد ذلك من منظور أصناف السياسة العسكرية الثورية. فتاريخ الثورات أو التصورات الاستراتيجية عرف العديد من الأصناف الاستراتيجية التي تقوم على الانتفاضة، من قبيل الاستراتيجية الانتفاضية البلانكية واستراتيجية الإضراب العام الانتفاضية المنسوبة لباكونين واستراتيجية الانتفاضة اللينينية التي تبنتها في ما بعد الأممية الثالثة . اما التجربة النكارغوية فهناك تصنيفات تدخلها ضمن ما يسمى "الاستراتيجية الانتفاضية الجديدة" . ومن المعروف أن بعض الأحزاب الشيوعية قد تخلت عن استراتيجية حرب التحرير الشعبية وتبنت هاته الاستراتيجية في محاولة للتسريع بالانتفاضة في المدن وإسقاط النظام، من بين هذه الأحزاب الحزب الشيوعي الفلبيني الذي قام بتجريب هذه الاستراتيجية فكان مآله الفشل . وفي سنة 1992 عادت قوات "جيش الشعب الجديد" التابعة للحزب إلى استراتيجية حرب التحرير الشعبية من جديد .

يقول أورتيغا : "فيما يخصني على الأقل، إنني لا أتصور الانتصار في أمريكا اللاتينية ولا في أي منطقة من العالم بدون مساهمة قوية ( ) للسكان، وبدون أزمة شاملة على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، شبيهة بالأزمة التي عرفناها في نيكاراغوا، في رأيي أنه من الصعب الاستيلاء على السلطة بدون الدمج بشكل خلاق بين جميع أشكال النضال أينما أمكن تنظيمها : البادية، المدينة، الحي، المناطق الجبلية ألخ ... لكن محور النضال يجب أن يتشكل دائما من الجماهير الفاعلة ( ) وليس من طليعة لا ترى في الجماهير سوى قوى تكميلية.

إن تجربتنا قد بينت أنه من الممكن المزاوجة بين النضال في البادية وفي المدينة. لقد قاتلنا في المدن وعلى طول خطوط المواصلات، وكان لنا أيضا ثوار مسلحون ( ) في المناطق القروية والجبلية. لكن هذه الفصائل من الثوار المسلحين لم تكن هي محور الانتصار، وشكلت فقط جزءا من محور أعلى هو الكفاح المسلح للجماهير".

إن ما قاله أرتيغا في هذا المقتطف هو روح وجوهر استجوابه، وهو يبين فعلا أن الثورة الساندينية ما كانت لتنتصر لولا اعتمادها في نهاية الأمر على العنف الثوري المنظم للجماهير، وعلى كافة أشكال الكفاح العنيف للجماهير.

4) **موقف مبروك من أرضية "القضايا التنظيمية الملحة"**[23].

إن الرفيق مبروك أضاع فرصة جديدة لإظهار "بيروقراطية" و"تحريفية" و"يمينية" القيادة. فطوال عشر صفحات طرحت القيادة موقفها من كافة القضايا التنظيمية الملحة، وبدل أن ينتقدها الرفيق مبروك برفاقية وصرامة في نفس الوقت، أخذ منها جملة واحدة ليعتمد عليها من أجل رفض الأرضية برمتها. ياله من أسلوب عظيم في الصراع !!

ليس بهذا الأسلوب يمكن إظهار "بيروقراطية" و"تحريفية" و"يمينية" القيادة : إن هذا الأسلوب يظهر فقط التخبط السياسي للرفيق مبروك الذي يوجه أخطر الانتقادات للقيادة في شكل يافطات ( ) ضخمة من دون التمكن من إيجاد مستندات جديدة لهذه اليافطات.

هل يعني هذا أن القيادة الحالية ليست فيها مشاكل ؟ لقد سبق للقيادة نفسها أن طرحت عدة مرات نقدها لوضعية القيادة، لضعفها كهيئة قيادية كأفراد، وطرحت ضرورة تحمل الداخل للمسؤوليات الرئيسية في

23 .يتعلق الأمر بإحدى وثائق ما يسمى ب "إعادة البناء".

القيادة الوطنية. لكن ما ظلت ترفضه القيادة، هو أن تبقى المنظمة بدون قيادة، لهذا طرحت القيادة ضرورة تطعيمها الديموقراطي كحل مؤقت، لمشكلة القيادة، وكخطوة على طريق المؤتمر الوطني الذي يحل نهائيا مشكل القيادة. إضافة إلى ذلك لقد عبر أعضاء القيادة الحالية عن استعدادهم للاستقالة بمجرد الانتهاء من عملية التطعيم إذا رغب الرفاق في ذلك.

ماذا كان رأي مبروك ؟

لقد ظل يرفض التطعيم الديموقراطي للقيادة، معبرا عن أن المؤتمر الوطني هو الذي يمكنه وحده أن يأتي بقيادة جديدة. وها هو اليوم الرفيق مبروك يغير موقفه ويطرح على اللجنة المنتخبة من طرف الندوة، أن تتحمل مسؤوليتها "كقيادة مؤقتة إلى حين عقد مؤتمر وطني قريبا".

لقد سبق للقيادة أن طرحت استعدادها للاستقالة من القيادة بعد انتخاب لجنة جديدة والتحاق أعضائها الجدد بالقيادة الوطنية، كأعضاء كاملي العضوية، إن الحل الجديد الذي يطرحه الرفيق مبروك رغم اختلاف المنطلقات، يلتقي إلى حد ما بما سبق أن طرحته القيادة. فماذا سيكون موقف الرفاق بالداخل ؟

نهاية ماي 1982 / رفيق قيادي